أسماء الله الحسنى

(الباعث - الشهيد - الحق - الوكيل - القوى -
المتين - الولى - الحميد - المحصى - المبدئ)

كتبه
أحمد تمام

رسوم
عبد المرضى عبيد

شركة سفير

تمام ، أحمد

أسماء الله الحسنى / أحمد تمام

١٢ ص، ٢٣ × ٢٣ سم

١- أسماء الله الحسنى / الكتاب السادس

٢- الأطفال - ثقافة

أ- تمام ، أحمد ب- العنوان

ديوى/ ٢١٠

جميع الحقوق محفوظة لشركة **سفير**

رقم الإيداع : ١٩٣٢٦ / ٢٠٠٤

الترقيم الدولى : 1 - 296 - 361 - 977 **:ISBN**

«البَاعِثُ» هُوَ الَّذِى يَبْعَثُ الخَلْقَ بَعْدَ مَمَاتِهِم يَوْمَ القِيَامَةِ، فَتَدِبُّ فِيهِمُ الحَيَاةُ، وَتَعُودُ إِلَيْهِمُ الرُّوحُ مَرَّةً أُخْرَى، وَيَرْجِعُوا إِلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ قَبْلَ وَفَاتِهِم، انْتِظَارًا لِلْحِسَابِ، حَيثُ يَلْقَى كُلَّ إِنْسَانٍ جَزَاءَ مَا قَدَّمَ فِى الدُّنْيَا مِنْ أَعْمَالٍ، فَإِمَّا إِلَى الجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ.

وَالبَعْثُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَمْرٌ لا شَكَّ فِيهِ، وَالإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَعَلَى المُسْلِمِ أَنْ يُؤْمِنَ بِالبَعْثِ وَأَنَّ هُنَاكَ حِسَابًا بَعْدَ المَوْتِ، وَأَنْ يَسْتَشْعِرَ ذَلِكَ فِى قَلْبِهِ حَتَّى تَسْتَقِيمَ حَيَاتُهُ، وَيَتَهَذَّبَ سُلُوكُهُ؛ لأَنَّهُ فِى النِّهَايَةِ مَسْئُولٌ عَنْ كُلِّ عَمَلٍ يَعْمَلُهُ صَغِيرًا كَانَ أَوْ كَبِيرًا، فِى السِّرِّ أَوْ فِى العَلَنِ.

الطُّيُورُ الأَرْبَعَةُ

طَلَبَ نَبِىُّ اللَّهِ «إِبْرَاهِيمُ» مِنْ رَبِّهِ أَنْ يُرِيَهُ كَيْفَ يُحْيِى المَوْتَى وَتَدِبُّ فِيهِم الحَيَاةُ بَعْدَ المَوْتِ؟ فَقَالَ اللَّهُ لَهُ : أَوَ لَمْ تُؤْمِنْ يَا إِبْرَاهِيمُ؟ قَالَ : بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِى وَأَرَى قُدْرَتَكَ عَلَى إِحْيَاءِ المَوْتَى.

فَأَمَرَهُ اللَّهُ أَنْ يَأْخُذَ أَرْبَعَةَ أَنْوَاعٍ مِنَ الطَّيْرِ فَيَذْبَحُهُنَّ، وَيُقَطِّعُهُنَّ قِطَعًا، وَيَخْلِطُهُنَّ مَعَ بَعْضِهِم بَعْضًا، ثُمَّ يُجَزِّئُهُنَّ أَجْزَاءً، وَيَجْعَلُ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا.

وَبَعْدَ ذَلِكَ أَمَرَهُ اللَّهُ أَنْ يَدْعُوَهُنَّ، فَدَعَا هُنَّ كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ – تَعَالَى – فَرَأَى عَجَبًا، رَأَى كُلَّ جُزْءٍ مِنْ أَجْزَاءِ كُلِّ طَائِرٍ يَطِيرُ وَيَتَجَمَّعُ مَعَ الآخَرِ، الرِّيشُ إِلَى الرِّيشِ، وَاللَّحْمُ إِلَى اللَّحْمِ، وَالدَّمُ إِلَى الدَّمِ، وَعَادَتْ كُلُّ الطُّيُورِ إِلَى حَالَتِهَا قَبْلَ الذَّبْحِ، وَأَتَيْنَ إِلَى «إِبْرَاهِيمَ» – عَلَيْهِ السَّلامُ – يَمْشِينَ.

وَكَذَلِكَ يَكُونُ البَعْثُ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَتَعُودُ الكَائِنَاتُ إِلَى مَا كَانَتْ عَلَيهِ قَبْلَ المَوْتِ.

«الشَّهيدُ» هوَ الَّذي لا يَغيبُ عَنْهُ شَيْءٌ، وَاللَّهُ - تَعَالَى - يَطَّلِعُ عَلَى الكَائِنَاتِ جَميعًا فِي أَمَاكِنِهَا، وَفِي جَميعِ أَحْوَالِهَا، لَيْلا أَوْ نَهَارًا، وَلا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِهَا مَهْمَا كَانَ صَغيرًا أَوْ دَقيقًا.

وَالمُسْلِمُ حينَ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ مُطَّلِعٌ عَلَيهِ يَعْلَمُ مَا تُخْفِيهِ نَفْسُهُ، فَإِنَّهُ يَسْتَحِي أَنْ يَقَعَ فِي خَطَأٍ، أَوْ يَرْتَكِبَ مَعْصِيَةً؛ لأَنَّ اللَّهَ شَاهِدٌ عَلَيْهِ يَرَاهُ فِي كُلِّ أَحْوَالِهِ.

كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً

يُحْكَى أَنَّ رَجُلا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَأَلَهُ شَخْصٌ أَنْ يُقْرِضَهُ أَلْفَ دِينَارٍ، فَقَالَ : ائْتِنِي بِشُهَدَاءَ أُشْهِدُهُم. قَالَ: كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً. قَالَ: صَدَقْتَ. فَأَعْطَاهُ المَبْلَغَ، دُوْنَ أَنْ يُحَدِّدَ مَوْعِداً لِلسَّدَادِ، وَسَافَرَ المَدِينُ لِقَضَاءِ بَعْضِ حَاجَاتِهِ، وَرِبحَ مِنْ سَفَرِهِ، وَأَرَادَ أَنْ يَعُودَ إِلَى بَلَدِهِ لِيُسَدِّدَ الدَّيْنَ فَلَمْ يَجِدْ مَرْكِبًا يَرْجِعُ بِهِ، وَخَشِيَ أَنْ يَمْنَعَهُ مَانِعٌ مِنْ سَدَادِ الدَّينِ، فَأَخَذَ خَشَبَةً وَحَفَرَهَا وَوَضَعَ فِيهَا الأَلْفَ دِينَارٍ، وَرِسَالَةً إِلَى صَاحِبِهَا، ثُمَّ أَعَادَهَا إِلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ وَأَلْقَاهَا فِي البَحْرِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ، إِنَّكَ قَدْ عَلِمْتَ أَنِّي أَخَذْتُ مِنْ فُلانٍ أَلْفَ دِينَارٍ، فَسَأَلَنِي شَهِيداً، فَقُلتُ : كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً، فَرَضِيَ بِذَلِكَ، وَإِنِّي اجْتَهَدْتُ أَنْ أَعُودَ لأَرُدَّ لَهُ المَالَ، فَلَمْ أَجِدْ مَرْكِبًا.

وَخَرَجَ الرَّجُلُ الآخَرُ إِلَى البَحْرِ يَنْتَظِرُ صَاحِبَهُ الَّذِي اقْتَرَضَ مِنْهُ المَالَ فِي المِيعَادِ المُحَدَّدِ لَكِنَّهُ لَمْ يَجِدْهُ، وَذَاتَ مَرَّةٍ وَهُوَ عَلَى الشَّاطِئِ عَثَرَ عَلَى الخَشَبَةِ الَّتِي فِيهَا المَالُ، فَأَخَذَهَا لأَهْلِهِ حَطَبًا، فَلَمَّا كَسَرَهَا وَجَدَ المَالَ وَرِسَالَةَ صَاحِبِهِ.

وَبَعْدَ مُدَّةٍ جَاءَهُ الرَّجُلُ بِأَلْفِ دِينَارٍ أُخْرَى يَعْتَذِرُ إِلَيْهِ عَنِ التَّأْخِيرِ، فَلَمَّا قَدَّمَ إِلَيْهِ المَبْلَغَ، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ أَدَّى عَنْكَ الَّذِي بَعَثْتَ بِهِ فِي الخَشَبَةِ.

«الحَقُّ» هُوَ مَا لا يُمْكِنُ لأَحَدٍ إِنْكَارُهُ؛ وَهُوَ ضِدُّ البَاطِلِ، وَاللَّهُ - تَعَالَى - هُوَ الحَقُّ المُسْتَحِقُّ لِلعِبَادَةِ، الثَّابِتُ الَّذِي لا يَزُولُ وَلا يَتَغَيَّرُ، قَالَ تَعَالَى:

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ﴾ (الحج: ٦)

وَاللَّهُ - تَعَالَى - أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالحَقِّ لِيُنْقِذَ النَّاسَ مِنَ الضَّلالَةِ، وَيَهْدِيَهُم إِلَى الصِّرَاطِ المُسْتَقِيمِ، وَوَعَدَ المُؤْمِنِينَ بِالجَنَّةِ، وَوَعْدُهُ حَقٌّ، وَتَوَعَّدَ الكُفَّارَ بِالنَّارِ وَوَعِيدُهُ حَقٌّ.

وَعَلَى المُسْلِمِ أَنْ يَتَمَسَّكَ بِدِينِهِ؛ لأَنَّهُ هُوَ الحَقُّ، وَمَا عَدَاهُ هُوَ البَاطِلُ.

القُرآنُ حَقٌّ

بَلَغَ أَهْلَ «مَكَّةَ» نَبَأُ انْتِصَارِ «الفُرْسِ» عَلَى «الرُّومِ» فِي سنة (٦١٥م)، فَحَزِنَ المُسْلِمُونَ لِذَلِكَ؛ لأَنَّ أَهْلَ فَارِسَ مَجُوسٌ (يَعْبُدُونَ النَّارَ) لا كِتَابَ لَهُم وَ«الرُّومُ» أَهْلُ كِتَابٍ يَدِينُونَ بِالمَسِيحِيَّةِ، وَفَرِحَ المُشْرِكُونَ، وَقَالُوا لِلْمُسْلِمِينَ: أَنْتُم وَالنَّصَارَى أَهْلُ كِتَابٍ، وَنَحْنُ وَفَارِسُ لا كِتَابَ لَنَا، وَقَد انْتَصَرَ «الفُرْسُ» عَلَى «الرُّومِ»، وَسَوفَ نَنْتَصِرُ عَلَيكُم كَمَا انْتَصَرَ الفُرْسُ. عِنْدَ ذَلِكَ نَزَلَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ ﴾

(الروم: ١-٤).

فَلَمَّا سَمِعَ «أَبُوبَكْرٍ الصِّدِّيقُ» هَذِهِ الآيَاتِ قَالَ: وَاللَّهِ لَيَنْتَصِرَنَّ «الرُّومُ» عَلَى فَارِسَ بَعْدَ بِضْعِ سِنِينَ- أَي بَعْدَ فَتْرَةٍ تَتَرَاوَحُ مِنْ ثَلاثٍ إِلَى تِسْعِ سَنَوَاتٍ - تَصْدِيقًا لِلآيَةِ، فَقَالَ لَهُ «أُبَيُّ بْنُ خَلَفٍ» وَكَانَ مِنْ زُعَمَاءِ الكُفْرِ: كَذَبْتَ، فَتَرَاهَنَا، وَذَلِكَ قَبْلَ تَحْرِيمِ الرِّهَانِ، وَجَعَلا الرِّهَانَ بَيْنَهُمَا عَلَى مَائَةٍ مِنَ الإِبِلِ. وَتَحَقَّقَ صِدْقُ القُرْآنِ فَانْتَصَرَ «الرُّومُ» عَلَى «الفُرْسِ» فِي العَامِ السَّادِسِ مِنَ الهِجْرَةِ، وَأَخَذَ «الصِّدِّيقُ» الإِبِلَ وَتَصَدَّقَ بِهَا.

وَهَذِهِ الآيَةُ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ القُرْآنَ حَقٌّ؛ لأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الحَقِّ، وَلأَنَّهَا إِخْبَارٌ عَنْ غَيْبٍ سَيَتَحَقَّقُ فِي المُسْتَقْبَلِ.. وَقَدْ حَدَثَ.

«الوَكِيلُ» مَنْ تُوكَلُ إلَيْهِ الأُمُورُ، وَاللَّهُ - تَعَالَى - قَائِمٌ بِأَمْرِ عِبَادِهِ، مُتَكَفِّلٌ بِمَصَالِحِهِم، كَفِيلٌ بِأَرْزَاقِهِم وَبِكُلِّ مَا يَحْتَاجُونَ إلَيْهِ، فَكُلُّ شَيْءٍ بِيَدِهِ تَعَالَى، وَلا يَمْلِكُ أَحَدٌ غَيْرُهُ شَيْئًا، وَقَدْ دَعَا اللَّهُ عِبَادَهُ أَنْ يَتَوَكَّلُوا عَلَيْهِ؛ لأَنَّهُ هُوَ الحَيُّ البَاقِي، وَأَنَّهُ رَحِيمٌ حَكِيمٌ، يَكْفِي النَّاسَ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِم.

وَعَلَى المُسْلِمِ أَنْ يَكُونَ تَوَكُّلُهُ عَلَى اللَّهِ وَاعْتِمَادُهُ عَلَيْهِ، وَأَنْ يَسْتَشْعِرَ ذَلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ السَّكِينَةُ عَلَى قَلْبِهِ، وَتَطْمَئِنَّ نَفْسُهُ إلَى أَنَّ اللَّهَ كَافِيهِ هَمَّهُ، وَمُفَرِّجُ كَرْبِهِ.

النَّصْرُ فِي عَيْنِ جَالُوتَ

اجْتَاحَ المَغُولُ العَالَمَ الإِسْلامِيَّ، وَنَجَحَ «هُولاكُو» فِي احْتِلالِ «بَغْدَادَ»، وَإِسْقَاطِ الخِلافَةِ العَبَّاسِيَّةِ سَنَةَ (٦٥٦هـ)، وَوَاصَلَ زَحْفَهُ حَتَّى اسْتَوْلَى عَلَى «الشَّامِ» وَلَمْ يَبْقَ أَمَامَهُ سِوَى «مِصْرَ»، فَأَرْسَلَ إِلَى «قُطُزٍ» سُلْطَانِ «مِصْرَ» يُهَدِّدُهُ، وَيَطْلُبُ مِنْهُ تَسْلِيمَ البِلادِ دُونَ قَيْدٍ أَوْ شَرْطٍ. وَمَا كَانَ مِنْ «قُطُزٍ» إِلا أَنْ جَمَعَ قَادَةَ الجَيْشِ وَالأُمَرَاءَ لِلتَّفْكِيرِ فِي مُوَاجَهَةِ هَذَا الخَطَرِ، وَكَانَ رَأْيُ أَغْلَبِ قَادَةِ البِلادِ أَنْ يُعْلِنُوا الصُّلْحَ مَعَ العَدُوِّ إِيثَارًا لِلسَّلامَةِ، لَكِن كَانَ لِقُطُزٍ وَعَدَدٍ قَلِيلٍ رَأْيٌ آخَرُ .. كَانُوا يَرَوْنَ ضَرُورَةَ مُوَاجَهَةِ العَدُوِّ وَالتَّصَدِّي لَهُ بِكُلِّ، وَالخُرُوجَ لِمُلاقَاتِهِ وَعَدَمَ الخَوْفِ مِنْهُ.

نَجَحَ «قُطُزٌ» فِي أَنْ يُثِيرَ حَمَاسَ القَادَةِ، وَقَامَ بِالاسْتِعْدَادِ لِلمَعْرَكَةِ، وَخَرَجَ بِقُوَّاتِهِ مُتَوَكِّلا عَلَى اللَّهِ، وَالْتَقَى بِالمَغُولِ فِي مَعْرَكَةِ «عَيْنِ جَالُوتَ» الحَاسِمَةِ فِي (٢٥ من شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ ٦٥٨هـ)، وَحَقَّقَ انْتِصَارًا غَالِيًا عَلَي المَغُولِ، وَقَضَى عَلَى خَطَرِهِم وَأَنْقَذَ العَالَمَ الإِسْلامِيَّ مِنْهُم.

لَنْ تَرَانِى، وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الجَبَلِ

ذَهَبَ «مُوسَى» – عَلَيْهِ السَّلامُ – لِمُنَاجَاةِ رَبِّهِ وَعِبَادَتِهِ فِى «طُورِ سَيْنَاءَ»، وَكَانَتْ مُدَّةُ تِلْكَ المُنَاجَاةِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، وَفِى هَذِهِ المُدَّةِ كَلَّمَ اللَّهُ «مُوسَى» – عَلَيْهِ السَّلامُ – وَأَنْعَمَ عَلَيهِ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ العَظِيمَةِ.

لَكِنَّ سَيِّدَنَا «مُوسَى» – عَلَيْهِ السَّلامُ – رَغِبَ فِى رُؤْيَةِ اللَّهِ، فَقَالَ :

– رَبِّى أَرِنِى نَفْسَكَ أَنْظُرْ إِلَيْكَ كَمَا جَعَلْتَنِى أَسْمَعُ كَلامَكَ.

فَقَالَ اللَّهُ لَهُ : إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ أَنْ تَرَانِى، وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ حِينَ أَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَيُمْكِنُكَ أَنْ تَرَانِى.

فَلَمَا ظَهَرَ اللَّهُ لِلْجَبَلِ تَهَدَّمَ وَصَارَ أَجْزَاءً مُتَنَاثِرَةٍ، وَسَقَطَ «مُوسَى» – عَلَيْهِ السَّلامُ – مَغْشِيا عَلَيْهِ مِنْ هَوْلِ مَا رَأَى، فَلَمَّا أَفَاقَ وَعَادَ إِلَيْهِ وَعْيُهُ قَالَ : سُبْحَانَكَ رَبِّى، لَنْ أَعُودَ إِلَى هَذَا الطَّلَبِ مَرَّةً أُخْرَى.

القَوِىُّ

«القَوِىُّ» هُوَ المُتَّصِفُ بِالقُوَّةِ، وَاللَّهُ – تَعَالَى – قَوِىٌّ لا غَالِبَ لَهُ، لا يَلْحَقُهُ ضَعْفٌ أَوْ يُصِيبُهُ عَجْزٌ، وَلا يَحْتَاجُ إِلَى عَوْنٍ مِنْ أَحَدٍ، قُوَّتُهُ فَوْقَ كُلِّ قُوَّةٍ، وَهِىَ قُوَّةٌ مُطْلَقَةٌ لا نِهَايَةَ لَهَا، وَمَظَاهِرُ قُوَّةِ اللَّهِ – تَعَالَى – نَرَاهَا فِى الكَوْنِ نَرَاهَا فِى السَّمَاءِ المُتَرَامِيَةِ، وَفِى النُّجُومِ وَالكَوَاكِبِ، فِى الشَّمْسِ وَالقَمَرِ، فِى الجِبَالِ، فِى الأَرْضِ، فِى الإِنْسَانِ.

وَعَلَى المُسْلِمِ أَنْ يَكُونَ قَوِيًّا .. قَوِيًّا فِى دِينِهِ .. قَوِيًّا فِى خُلُقِهِ .. قَوِيًّا فِى عِلْمِهِ .. قَوِيًّا فِى جِسْمِهِ، وَفِى الحَدِيثِ: «المُؤْمِنُ القَوِىُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِى كُلٍّ خَيْرٌ».

«المَتِينُ» هُوَ الشَّدِيدُ الَّذِى لا يَعْرِفُ المَشَقَّةَ وَالإِرْهَاقَ، وَاللَّهُ - تَعَالَى - مَتِينٌ لا يَسْتَعْصِى عَلَيهِ فِعْلٌ، وَلا يَنَامُ، وَلا يَشْعُرُ بِالتَّعَبِ وَالمَلَلِ، وَلا يَسْتَمِدُّ قُوَّتَهُ مِنْ طَعَامٍ وَغِذَاءٍ، وَقُوَّتُهُ لَيْسَ لَهَا نِهَايَةٌ تَقِفُ عِنْدَهَا، وَلا تَفْنَى أَوْ تُحَلَّلُ، وَكُلُّ مَا نَرَاهُ مِنْ حَوْلِنَا شَاهِدٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ هُوَ القَوِىُّ المَتِينُ، وَأَشَارَ إِلَى ذَلِكَ فِى القُرْآنِ الكَرِيمِ، فَقَالَ تَعَالَى :

﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾

(الذاريات: ٥٨)

وَعَلَى المُسْلِمِ أَنْ يَسْتَشْعِرَ أَنَّهُ قَوِىٌّ بِإِيمَانِهِ، مَتِينٌ فِى دِينِهِ، حَتَّى لا يَتَأَثَّرَ بِالشَّهَوَاتِ وَيَبْعُدَ عَنِ الحَقِّ.

هَلاكُ قَوْمِ نُوحٍ

ظَلَّ «نُوحٌ» - عَلَيْهِ السَّلامُ - يَدْعُوَ قَوْمَهُ إِلَى الإِيمَانِ بِاللَّهِ وَتَرْكِ عِبَادَةِ الأَصْنَامِ أَلْفَ سَنَةٍ إِلا خَمْسِينَ عَامًا، لَكِنْ لَمْ يَسْتَجِبْ لِدَعْوَتِهِ إِلا قَلِيلٌ مِنْ قَوْمِهِ وَبَقِىَ الآخَرُونَ عَلَى عِنَادِهِمْ وَكُفْرِهِمْ وَاسْتِهْزَائِهِمْ بِالمُؤْمِنِينَ.

وَلَمَّا يَئِسَ «نُوحٌ» - عَلَيْهِ السَّلامُ - مِنْ قَوْمِهِ دَعَا عَلَيْهِمْ بِالهَلاكِ، فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ، وَأَوْحَى إِلَيْهِ أَنْ يَصْنَعَ سَفِينَةً عَظِيمَةً، فَلَمَّا اقْتَرَبَ مَوْعِدُ الهَلاكِ أَمَرَ اللَّهُ «نُوحًا» - عَلَيْهِ السَّلامُ - أَنْ يَحْمِلَ فِى السَّفِينَةِ كُلَّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ مِنَ الكَائِنَاتِ، وَيَحْمِلَ مَعَهُ المُؤْمِنِينَ مِنْ قَوْمِهِ.

وَمَا هِىَ إِلا لَحَظَاتٌ حَتَّى تَفَجَّرَ المَاءُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، الأَنْهَارُ تَفِيضُ بِالمَاءِ، البِحَارُ تَرْمِى بِمَائِهَا عَلَى الشَّاطِئِ، السَّمَاءِ يَنْهَمِرُ مِنْهَا المَاءُ بِغَزَارَةٍ، وَرَأَى المُشْرِكُونَ المَاءَ يَمْلأُ بُيُوتَهُمْ، وَيَتَدَفَّقُ بِسُرْعَةٍ رَهِيبَةٍ، فَفَرُّوا إِلَى الجِبَالِ يَحْتَمُونَ بِهَا وَيَصْعَدُونَ إِلَى قِمَمِهَا .. لَكِنَ ذَلِكَ لَمْ يُنْجِهِمْ، فَالمَاءُ يَرْتَفِعُ حَتَّى بَلَغَ قِمَمَ الجِبَالِ، وَأَغْرَقَ كُلَّ الكَافِرِينَ وَالمُشْرِكِينَ.

وَلَمَّا أَهْلَكَ اللَّهُ الكَافِرِينَ وَغَرَقُوا جَمِيعًا ابْتَلَعَتِ الأَرْضُ مَاءَهَا، وَتَوَقَّفَتِ السَّمَاءُ عَنِ المَطَرِ، وَرَسَتِ السَّفِينَةُ، وَنَزَلَ «نُوحٌ» وَمَنْ مَعَهُ مِنَ المُؤْمِنِينَ لِيَبْدَأُوا حَيَاتَهُمْ مِنْ جَدِيدٍ.

اللَّهُ لا يُضَيِّعُنَا

ذَهَبَ نَبِيُّ اللَّه «إبْرَاهِيمُ» – عَلَيْه السَّلامُ – بزَوْجَته السَّيِّدَة «هَاجَرَ»، وَابْنهمَا «إسْمَاعيلَ» – عَلَيْه السَّلامُ – إلَى «مَكَّةَ»، وَكَانَتْ حِيْنَذَاكَ أَرْضًا قَاحلَةً لا حَيَاةَ فيهَا وَلا زَرْعَ وَلا مَاءَ، وَعنْدَ رَبْوَة هُناكَ تَرَكَ «إبْرَاهِيمُ» الخَليلُ «هَاجَرَ» وَوَلَدَهَا، وَتَرَكَ لَهُمَا تَمرًا وَسقَاءً فيه مَاءٌ، ثُمَّ هَمَّ بالرُّجُوعِ منْ حَيْثُ جَاءَ، فَخَافَتْ «هَاجَرُ» منْ هَذَا المَكَان المُوحش، وَحَاوَلَتْ إقْنَاعَهُ أَلا يَتْرُكَهَا، وَلَكنْ دُونَ جَدْوَى.

فَلَمَّا مَضَى فى طَريقه نَادَتْ عَلَيه : هَلْ أَمَرَكَ اللَّهُ بهَذَا؟

قَالَ وَهُوَ لا يَلْتَفتُ إلَيْهَا : نَعم.

فَقَالَتْ «هَاجَرُ» فى يَقينٍ منْ نُصْرَة اللَّه وَعَوْنه لَهَا: إذَنْ فَاللَّهُ لا يُضَيِّعُنَا.

وَظَلَّتْ «هَاجَرُ» تُرْضعُ وَلَدَهَا وَتَشْرَبُ منْ ذَلكَ المَاء القَليل حَتَّى نَفَدَ مَا مَعَهَا، وَبَدَأَ العَطَشُ يَشْتَدُّ بهَا وَبوَليدهَا، فَقَامَتْ تَبْحَثُ عَنِ المَاء، وَسَعَتْ بَيْنَ الصَّفَا وَالمَرْوَة، مَرَّةً بَعْدَ مَرَّة، لَعَلَّهَا تَجدُ مَاءً، حَتَّى بَلَغَت سَبْعَ مَرَّات، وَنَالَ منْهَا التَّعَبُ وَالإعْيَاءُ وَيَئسَتْ منَ العُثُور عَلَى مَاء. وَبَيْنَمَا هِيَ عَلَى هَذه الحَال منَ التَّرَقُّب والانْتظَار، انْفَجَرَتْ عَيْنُ مَاء بالقُرْب منْ وَليدهَا، فَانْطَلَقَتْ نَحْوَهَا، وَأَقْبَلَتْ تَشْرَبُ وَتَرْتَوى، وَتُرْضعُ وَلَدَهَا، وَهَذه العَيْنُ هِيَ بئْرُ زَمْزَم، وَمُنْذُ ذَلكَ الوَقْت بَدَأَت الحَيَاةُ تَدبُّ فى هَذه المنْطَقَة، وَرَاحَ النَّاسُ يَتَدَفَّقُونَ للعَيْش فيهَا، وَخُصُوصًا بَعْدَ بنَاء الكَعْبَة بَيْت اللَّه الحَرَام.

الوَلِيُّ

«الوَلِيُّ» هُوَ النَّاصرُ، وَاللَّهُ – تَعَالَى – وَلِيُّ الَّذينَ آمَنُوا وَنَاصرهُم، يَخْتَصُّهُم برَحْمَته، وَيَهْديهم إلَى الطَّريقِ المُسْتَقيم، قَالَ تَعَالَى :

﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾

(البقرة: ٢٥٧)

وَإذَا أَيْقَنَ العَبْدُ بنَصْر اللَّه وَعَوْنه لَهُ لَمْ يَدْخُلْ اليَأْسُ إلَى قَلْبه مَا دَامَ عَلَى الحَقِّ، وَعَلَى يَقينٍ تَامٍّ منْ نَصْر اللَّه وَتَأْييده لَهُ.

الحَمِيدُ

«الحَمِيدُ» هُوَ مَنْ يَسْتَحِقُّ الثَّنَاءَ وَالشُّكْرَ، وَاللَّهُ - تَعَالَى - هُوَ المَحْمُودُ عَلَى كُلِّ حَالٍ، المُسْتَحِقُّ لِلْحَمْدِ وَالثَّنَاءِ مِنْ عِبَادِهِ، فَقَدْ خَلَقَهُم وَوَهَبَهُم الحَيَاةَ، وَزَوَّدَهُم بِالعَقْلِ، وَمَنَحَهُم الشَّكْلَ الجَمِيلَ وَالقَوَامَ المُعْتَدِلَ، وَسَخَّرَ لَهُمَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لِيَنْعَمُوا بِخَيْرَاتِهِمَا، وَبَعَثَ لَهُمُ الرُّسُلَ لِهِدَايَتِهِم إِلَى الخَيْرِ وَالصَّلَاحِ، وَنِعَمُ اللَّهِ كَثِيرَةٌ لا تُعَدُّ وَلا تُحْصَى، وَكُلُّ هَذِهِ النِّعَمِ تَسْتَحِقُّ مِنَ الإِنْسَانِ الحَمْدَ وَالشُّكْرَ وَالثَّنَاءَ الجَمِيلَ لِلَّهِ تَعَالَى.

وَعَلَى المُسْلِمِ أَنْ يَحْمَدَ اللَّهَ فِي كُلِّ أَحْوَالِهِ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، وَفِي الشِّدَّةِ وَالرَّخَاءِ، وَيُؤْمِنُ أَنَّ كُلَّ مَا يُصِيبُهُ هُوَ خَيْرٌ.

الكَوْنُ يُسَبِّحُ لِلَّهِ وَيَحْمَدُهُ

هَلْ تَعْلَمُ أَنَّ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يُسَبِّحُ لِلَّهِ وَيَحْمَدُهُ، قَالَ تَعَالَى:

﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ (الإسراء: ٤٤)

وَهَلْ تَعْلَمُ أَنَّ المَلَائِكَةَ تُسَبِّحُ بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى، قَالَ تَعَالَى:

﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ (غافر: ٧)

- وَهَل تَعْلَمُ أَنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ يَحْمَدُونَ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى مَا هُمْ فِيهِ، قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ (الزُّمر: ٧٤)

- هَلْ تَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ أَمَرَ نَبِيَّهُ «مُحَمَّدًا» ﷺ أَنْ يُسَبِّحَ بِحَمْدِ رَبِّهِ، قَالَ تَعَالَى:

﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴾ (الحجر: ٩٨)

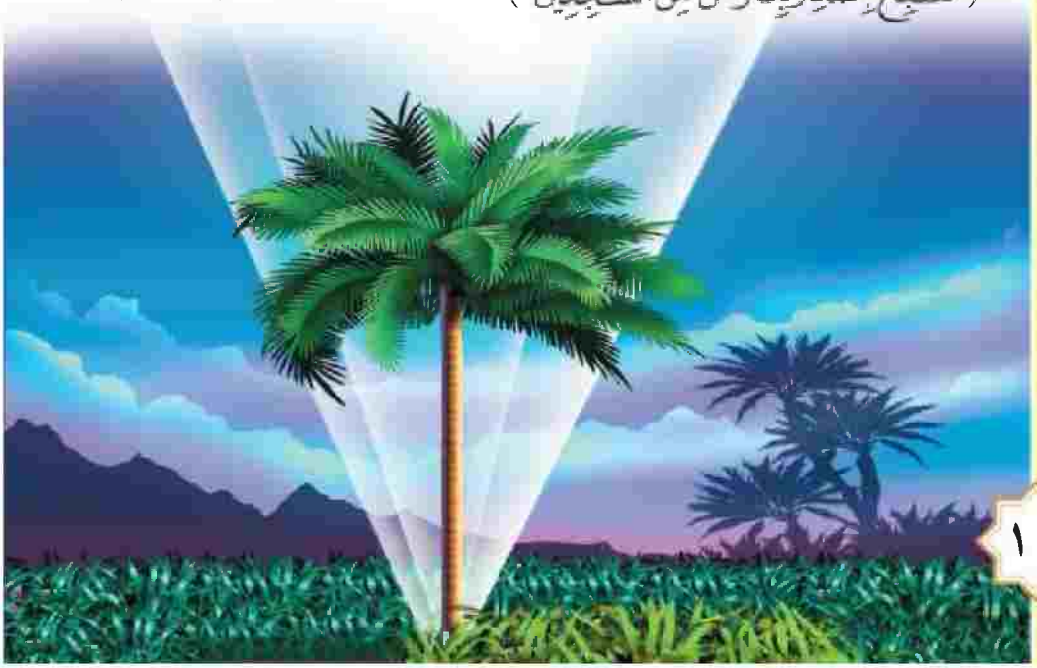

المُحْصِى

«المُحْصِى» هُوَ الَّذِى أَحْصَى كُلَّ شَىْءٍ وَأَحَاطَ بِهِ عِلْمًا، وَاللَّهُ – تَعَالَى – لا يَفُوتُهُ شَىْءٌ مَهْمَا كَانَ دَقِيقًا أَوْ مُتَنَاهِيًا فِى الصِّغَرِ، فَهُوَ يَعْلَمُ عَدَدَ المَخْلُوقَاتِ جَمِيعًا مِنْ إِنْسَانٍ وَحَيَوَانٍ وَنَبَاتٍ وَأَسْمَاكٍ وَنُجُومٍ وَكَوَاكِبَ، حَتَّى عَدَدُ حَبَّاتِ الرِّمَالِ وَقَطَرَاتِ المَاءِ يَعْلَمُ عَدَدَهَا.

وَقَدْ أَحْصَى اللَّهُ أَعْمَالَ البَشَرِ فِى كِتَابٍ تُسَجَّلُ فِيهِ كُلُّ كَبِيرَةٍ وَصَغِيرَةٍ، وَيَوْمُ القِيَامَةِ تُفْتَحُ هَذِهِ الصَّحَائِفُ، حَيْثُ يُحَاسَبُ كُلُّ إِنْسَانٍ عَلَى مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلٍ.

وَإِذَا آمَنَ المُسْلِمُ بِهَذِهِ الحَقِيقَةِ اسْتَقَامَتْ أَحْوَالُهُ، وَصَلُحَتْ أَعْمَالُهُ، وَكَثُرَتْ طَاعَاتُهُ للَّهِ تَعَالَى، لأَنَّ كُلَّ تَصَرُّفٍ يَصْدُرُ مِنْهُ فِى اللَّيْلِ أَوِ النَّهَارِ، فِى السِّرِّ أَوِ العَلَنِ يُحْصِيهِ اللَّهُ – تَعَالَى – وَيُجَازِيهِ بِهِ.

مَخْلُوقَاتُ اللَّهِ لا يُمْكِنُ حَصْرُهَا

مَخْلُوقَاتُ اللَّهِ كَثِيرَةٌ لا يُمْكِنُ حَصْرُهَا وَإِحْصَاؤُهَا، سَوَاءٌ الَّتِى نَعْلَمُهَا أَوِ الَّتِى لا نَعْلَمُهَا، أَوْ مَا كَانَ مِنْهَا عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ، أَوْ فِى أَعْمَاقِ البِحَارِ، أَوْ فِى أَجْوَاءِ السَّمَاءِ.

– فَهَلْ تَعْلَمُ ؟

– أَنَّهُ تَمَّ وَصْفُ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعمائَةِ أَلْفِ نَوْعٍ نَبَاتِىٍّ حَتَّى الآنَ.

– أَنَّ الحَشَرَاتِ هِىَ أَكْثَرُ الكَائِنَاتِ الحَيَّةِ عَدَدًا، وَهِىَ تُمَثِّلُ (٨٠٪) مِنَ الأَنْوَاعِ الحَيَوَانِيَّةِ.

– أَنَّ هُنَاكَ مَا يَقْرُبُ مِنْ عَشَرَةِ مَلايِينَ نَوْعٍ مِنَ الحَشَرَاتِ، وَأَنَّ العُلَمَاءَ يَكْتَشِفُونَ عَدَدًا يَتَرَاوَحُ مَا بَيْنَ (٧–١٠) الآفِ نَوْعٍ جَدِيدٍ كُلَّ عَامٍ.

– أَنَّ مَجَرَّتَنَا (دَرْبَ اللَّبَانَةِ) بِهَا مِائَةُ أَلْفِ مِلْيُونِ نَجْمٍ.

– أَنَّ فِى السَّمَاءِ مِنْ أَمْثَالِ مَجَرَّتِنَا (١٠٠٠ مليون) مَجَرَّةٍ.

وَصَدَقَ اللَّهُ تَعَالَى إِذْ يَقُولُ: ﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾

(الأنعام : ٥٩)

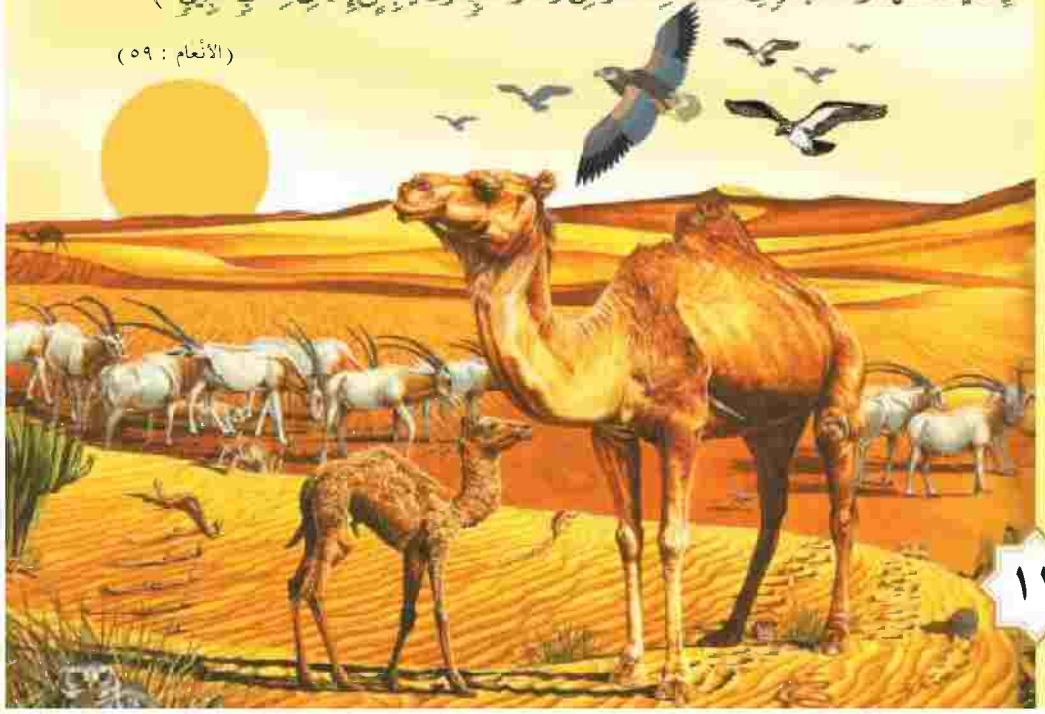

خَلْقُ آدَمَ

خَلَقَ اللَّهُ الأَرْضَ الَّتِى نَعِيشُ فِيهَا، وَقَدَّرَ مَكَانَهَا فِى الكَوْنِ الفَسِيحِ، وَجَعَلَ فِيهَا الأَشْجَارَ وَالأَنْهَارَ وَالجِبَالَ وَالهِضَابَ، وَجَعَلَ الشَّمسَ تُنِيرُ نَهَارَهَا وَالقَمَرَ يُزَيِّنُ لَيْلَهَا، وَعَمَّرَهَا بِالحَيَوَانَاتِ الَّتِى مَلأَتْهَا حَرَكَةً وَنَشَاطًا.

وَبَعْدَ مُدَّةٍ مِنَ الزَّمَنِ خَلَقَ اللَّهُ «آدَمَ»، فَقَبَضَ قَبْضَةً مِنْ تُرَابِ الأَرْضِ، وَجَعَلَهَا بِقُدْرَتِهِ – تَعَالَى – عَلَى هَيْئَةِ إِنْسَانٍ، ثُمَّ نَفَخَ اللَّهُ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ، فَتَحَرَّكَ بَدَنُ «آدَمَ» وَبَعَثَتِ الحَيَاةَ فِيهِ، وَكَانَ «آدَمُ» أَوَّلَ إِنْسَانٍ خُلِقَ مِنَ البَشَرِ، وَقَدْ كَرَّمَهُ اللَّهُ بِأَنْ أَمَرَ المَلائِكَةَ أَنْ تَسْجُدَ لَهُ. ثُمَّ خَلَقَ اللَّهُ لَهُ زَوْجَةً، فَكَانَ «آدَمُ» وَزَوْجُهُ أَوَّلَ زَوْجٍ مِنَ البَشَرِ خُلِقَا بِيَدِ اللَّهِ تَعَالَى؛ لِيَتَزَاوَجَا وَيَلِدَا.

وَكَانَتْ سُنَّةُ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ خَلْقِ «آدَمَ» وَزَوْجِهِ أَنْ يَتِمَّ خَلْقُ أَبْدَانِ البَشَرِ فِى أَرْحَامِ الأُمَّهَاتِ، مِنْ مَاءِ الرَّجُلِ وَبُوَيْضَةِ المَرْأَةِ، وَبَعْدَ أَنْ يُخْلَقَ البَدَنُ يَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيَظَلُّ فِى الرَّحِمِ حَتَّى يَصِيرَ طِفْلا مُكْتَمِلَ النُّمُوِّ، وَيَنْزِلَ إِلَى الحَيَاةِ .. وَهَكَذَا تَسْتَمِرُّ الحَيَاةُ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ۝٨ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝٩﴾

(السجدة: ٦–٩)

المُبْدِئُ

«المُبْدِئُ» هُوَ الَّذِى يُظْهِرُ الأَشْيَاءَ مِنَ العَدَمِ إِلَى الوُجُودِ، وَاللَّهُ – تَعَالَى – هُوَ الَّذِى خَلَقَ الكَوْنَ، وَأَظْهَرَهُ لِلْوُجُودِ بِمَا فِيهِ مِنْ أَرْضٍ وَسَمَاءٍ وَكَائِنَاتٍ تَعِيشُ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَجُودٌ مِنْ قَبْلُ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

(سورة الروم: ٢٧)

وَعَلَى المُسْلِمِ أَنْ يَتَذَكَّرَ بِدَايَةَ خَلْقِهِ وَأَنَّهُ كَانَ مِنْ طِينٍ، فَلا يَغْتَرُّ بِمَا عِنْدَهُ مِنْ مَالٍ وَجَاهٍ، وَتَوَاضَعُ وَيَتَخَلَّقُ بِالخُلُقِ الحَسَنِ.